جوانب من الحياة الثقافية والفنية في شمال المغرب خلال الفترة الاستعمارية

مدينة القصر الكبير نموذجاً



سعيد الحاجي
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
باحثة دكتوراه – جامعة محمد الخامس
الرباط – المملكة المغربية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
سعيد الحاجي، جوانب من الحياة الثقافية والفنية في شمال المغرب خلال الفترة الاستعمارية: مدينة القصر الكبير نموذجاً – دورية كان التاريخية – العدد السادس والعشرون، ديسمبر 2014. ص 131 – 136. www.kanhistorique.org
كان التاريخية: رقمية الموطن.. عربية الهوية.. عالمية الأداء

ملخص

يرصد هذا البحث بعض التحولات التي شملت جوانب من الحياة الثقافية والفنية في الشمال المغربي خلال الفترة الاستعمارية الإسبانية للمنطقة، ويركز على مدينة القصر الكبير التي تعد أهم مدنها، وما شهدتها من تحولات ثقافية وفنية في سياق التفاعل بين الثقافة الإسبانية والثقافة المحلية، ومن جهة أخرى يروم البحث إبراز الحركية الثقافية بالمدينة ومساهمتها في بلورة مشهد ثقافي جديد من جهة، ومن جهة أخرى دور الحراك الثقافي في دعم المطالب التحررية من نير الاستعمار، كما يتطرق لأحد أهم الأنماط الموسيقية ومنبعها وامتدادها التاريخي، وكذلك ازدهار الحركة الموسيقية بالمدينة خلال الفترة المدروسة، مما يبرز حجم تأثير الاستعمار الثقافي علي المدينة والمنطقة الشمالية المغربية ككل.

مقدمة

شكلت الفترة الاستعمارية في منطقة الشمال المغربي فترة تحولات ثقافية عميقة، على كل المستويات المرتبطة بالشأن الثقافي، ومما لا شك فيه أن الوضع الثقافي الذي وجدت عليه منطقة الشمال عند بداية الحماية، يختلف بشكل كبير جداً عن الواقع الثقافي الذي أضحت عليه عند نهايتها، فبين ماضي الواقع الثقافي السابق للحماية وواقعها إبانها، عناصر ظهرت وأخرى اختفت وثالثة راوحت مكانها، وفي طيات هذا الحراك تكمن قوة التأثير الذي أحدثه الاستعمار الإسباني في المشهد الثقافي لمنطقة الشمال المغربي، إن فهم التحولات التي خضع لها المجال الثقافي في المنطقة، لابد وأن ينطلق من الخلفيات المتحكمة بشكل عام في وضع السياسات الثقافية والفكرية الإسبانية في المنطقة، والتي جعلت المشهد الثقافي يتعرض لمجموعة من التحولات التي سنحاول رصدها في أنموذج من مدن الشمال المغربي الخاضع للحماية الإسبانية، وهو نموذج مدينة القصر الكبير التي تعد أحد المدن المهمة في خريطة المنطقة الواقعة تحت النفوذ الإسباني، حيث كانت التحولات في هذه المدينة الحدودية مع منطقة النفوذ الفرنسي، مرتبطة بباقي ما يحدث على صعيد المنطقة الشمالية ككل والتي عرفت ترابطاً بين مكوناتها المختلفة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومن هذا المنطلق سنركز عليها في هذه الدراسة لإبراز الملامح العامة للمشهد الثقافي به خلال الفترة الاستعمارية الإسبانية.

(1) السياسة الإسبانية الفكرية والثقافية في منطقة الشمال

بعد القضاء على المقاومة المسلحة في الشمال المغربي، بادرت إسبانيا إلى التوسع في إنجاز مخططاتها الاستعمارية طبقاً لاستراتيجية تهدف إلى المساس بالهوية المغربية ومكوناتها الثقافية والفكرية من أجل إضعاف معنويات المغاربة وتثبيط عزائمهم وتكبيل إرادتهم في التحرر واسترداد السيادة الوطنية، وبالتالي فليس غريباً أن نجد إسبانيا تعمل جاهدة على إيجاد المفاهيم الكفيلة بإضفاء المشروعية على حركتها، ومحاولة إقناع المغاربة بأهمية أعمالها وإنجازاتها وضرورتها في مجال تطوير وتمدين المنطقة، ضمن استراتيجيتها العامة التي تكرس احتلال واستغلال إنسان المنطقة [1].

لقد اعتبر مغاربة الشمال هذه الممارسات الاستعمارية التي حاولت أن تطمس هويتهم أخطر من استعمار الأرض، فعملوا على مقاومتها بشتى الوسائل التي كرست في آخر المطاف النشاط الوطني على أكثر من صعيد، أمام المحاولات الإسبانية المتكررة في مراحل مختلفة خلق وإحياء مجموعة من الروابط الروحية والثقافية التي تعزز عمليات "الأسبنة" وترسيخ العملية الاستعمارية، خصوصاً في فترة حكم فرانكو الذي أدرك الأهمية الكبيرة التي يحتلها الدين والانتماء القومي للمغاربة والإرث التاريخي وغيرها في نفوسهم، لذلك ادعى الحفاظ عليها لكنه أراد فرض الوصاية عليها وإعطاءها توجها معيناً يخدم مصالحه الوطنية والاستعمارية [2].

لقد دفعت السياسة الثقافية الاستعماري في منطقة الشمال المغربي، الوطنيين إلى التكثيف من أساليب المقاومة الثقافية المختلفة لهذا للاستعمار في شقه الثقافي، والمرتبط بشكل وثيق بباقي مظاهر الاستعمار، فكان أن عرف المجال الثقافي في نهاية المطاف تحولات كانت جذرية في بعض المظاهر

الثقافية، ولا غرو أن يكون من نتائج هذا التحول، حدوث تجديدات في هذا السياق، وتعد مدينة القصر الكبير من المدن التي يمكن من خلالها قياس مجموعة من مظاهر التحول هذه.

ليس صدفة أن تتأثر هذه المدينة الصغيرة والموغلة في القدم بالحراك الثقافي الذي عرفته المنطقة الشمالية ككل خلال الفترة الاستعمارية، فمدينة القصر الكبير عرفت دائماً بكونها مركزاً صوفياً يتوفر على مجموعة كبيرة من المدارس القرآنية التي كانت معروفة بها المدينة، والتي كانت تستقطب طلاب العلم من مختلف المدن المغربية، حتى إن المدينة كانت توصف بكونها "مدينة كل خطوة بولي"، وهي المقولة التي لازالت تتوارثها الأجيال إلى اليوم.

لكن السمة الأساسية التي كانت تميز المشهد الثقافي في مدينة القصر الكبير هي ارتباطه الوثيق بكل ما هو ديني، ولم يكن بالإمكان قبل الفترة الاستعمارية الحديث عن أي مظهر من المظاهر الثقافية من قبيل المسرح أو وسائل الإعلام أو فن السينما، إلا مع دخول الاستعمار الإسباني الذي جلب معه ما جلب من هذه الفنون، والتي بدت غريبة في البداية قبل أن تصبح مكوناً أساسياً من مكونات الثقافة المحلية وينبري لممارستها مجموعة من أبناء مدينة القصر الكبير، وهو ما يعكس نوعاً من التفاعل الثقافي الذي عرفته منطقة الشمال ككل خلال الفترة الاستعمارية.

2) الأدب والأدباء في مدينة القصر الكبير

ساهمت مدينة القصر الكبير مساهمة فعالة في الحياة الأدبية في منطقة الشمال خلال الفترة الاستعمارية، من خلال الحضور الدائم لأدباء المدينة في مختلف اللقاءات الأدبية على مستوى الشمال، حيث ساهم أحد أدبائها وهو الغالي الطود في تأسيس أول هيئة فكرية في الشمال المغربي تحمل اسم "عصبة الفكر المغربي" وكانت بمثابة اتحاد للكتاب، أسست في مدينة تطوان في 26 نونبر (نوفمبر) 1938م [3].

كما عرفت مدينة القصر الكبير ظاهرة الأندية الأدبية وإن لم تحمل اسماً خاصاً دالاً عليها، لكن بيوت فقهاء المدينة وعلمائها كانت تشهد باستمرار جلسات تناقش المسائل الأدبية والفقهية واللغوية، ومن بين هذه البيوت نجد منزل الشيخ علال الزرهوني الكشوري وهو شيخ المعهد الإسلامي، وكذلك منزل العلامة عبد الله الجباري ومنزل السيد محمد المويح النحوي المعروف في مدينة القصر الكبير، كما كان هناك منزل السيد أحمد بن قاسم الكشوري الذي كان ينظم جلسات أدبية كل يوم أربعاء مساء، ويجتمع فيه تلامذته لتدارس كل ما يرتبط بالشعر والأدب، وقد كانت إنتاجات كتاب القصر الكبير نوعية ومتميزة، حيث ألف الأستاذ والوطني عبد السلام الطود كتابه "بنو عباد بإشبيلية" الذي صدر ضمن مطبوعات مولاي الحسن بتطوان، وقدم له الأستاذ عبد الله كنون، ويعد هذا العمل من أهم الإنتاجات التي تميز بها كتاب مدينة القصر الكبير في تلك الفترة [4].

كما مثل الشعر أحد المظاهر الثقافية التي تميزت بها مدينة القصر الكبير بالنظر إلى كثرة شعرائها وغزارة إنتاجهم، حيث برز شعراء مثل الغالي الطود والمهدي الطود وأحمد السفياني ومحمد الشريف القجيري صاحب قصيدة "وعود الحماية" [5]، وكانت كتابة الشعر عنصراً هاماً في إنتاجات الفقهاء والصوفية، أضف إلى ذلك أجناس شعرية أخرى من قبيل قصائد الملحون التي كان يكتبها البعض مثل الشيخ أحمد الغرابلي، الذي كان هناك زقاق يسمى باسمه، ويعتبر مجمعاً للمهتمين بقصائد الملحون في القصر الكبير [6]، وأيضاً الشاعر عبد السلام الزفري الذي كان يكتب قصائد عن الحرف والصناعة، والذي توفي ما بين (1938 – 1939) وهو مدفون في ضريح سيدي محمد الشريف في القصر الكبير، [7] هذا الصنف من الكتابة الشعرية كان فريداً في مدينة القصر الكبير بالنظر إلى سيادة قصائد المديح الصوفي، كما تميز بعض الشعراء بما يسمى بالشعر الفكاهي ممثلة في قصائد الشاعر سعد الدين الطود المزداد سنة 1936 في القصر الكبير، والذي تميز بالكتابات الشعرية الساخرة [8]، ويبقى أبرز شعراء القصر وأكثرهم شهرة وإبداعاً هو الشاعر أحمد بن الخمار الزواقي الكنوني (1883 – 1958) الذي اشتغل بإدارة الأحباس لمدة قصيرة، قبل أن يتفرغ لبيع الكتب ويتخذ دكاناً صغيراً في المدينة العتيقة للقصر كمكتبة امتهن فيها بيع الكتب وكتابة قصائده، حيث كان يتوافد عليه عدة مؤرخين من أبرزهم محمد داوود مؤرخ تطوان وصاحب كتاب "تاريخ تطوان" وعدة مثقفين إسبان [9]، إضافة إلى مجموعة من الشعراء الذين أغنوا الساحة الأدبية في القصر بكتاباتهم خصوصاً من آل الطود وآل الشاوش وآل الجباري وغيرهم من الأسر التي عرفت بإنتاج أبنائها للشعر، كما كانت المدينة خلال الفترة الاستعمارية تحتضن العديد من الكتاب ذو الاتجاه الصوفي، وقد أفرد المؤرخ القصري الأستاذ محمد العربي العسري ترجمة لعدد كبير من شيوخ القصر الكبير الذين كانت أشعارهم ذات طابع صوفي [10].

3) المسرح في مدينة القصر الكبير

مثل الفن المسرحي أحد وجوه التفاعل الثقافي بين شمال المغرب وإسبانيا، ففي مدينة القصر الكبير عمدت السلطات الاستعمارية الإسبانية إلى بناء مسرح كبير اطلق عليه اسم مسرح "ألفونسو الثالث عشر" الذي دشن يوم 22 نونبر (نوفمبر) 1922م، وأشرف على بنائه احد المقاولين يدعى "بيريث بيانو" [11]، وبعد فترة قصيرة تم تغيير اسمه إلى "بيريث كالدوس" نسبة إلى مؤلف كتاب "الوقائع الوطنية" الذي كان كناريا (نسبة إلى جزر الكناري الإسبانية) وماسونيا [12]، وقد احتضن هذا المسرح عروضاً مسرحية متنوعة وكان في بداية عهده يستضيف بشكل مستمر عروضاً للفرق المسرحية الإسبانية [13]، قبل أن تعرض على خشبته فرق مغربية أعمالها المسرحية، وكانت طاقته الاستيعابية تبلغ حوالي (900) متفرج [14]، كما كان المسرح يتلقى مبالغ من بلدية المدينة من أجل صيانته وتسييره [15].

كانت هذه المعلمة بمثابة نقطة التحول في تاريخ المسرح في مدينة القصر الكبير، حيث عرف النشاط المسرحي أوج ازدهاره بها، وقبل ذلك عمل ثلة من المهتمين بالمسرح على التأسيس لهذا الفن الذي كان نشاطه متأثراً بحركة المسرح في المشرق العربي ويمثل جانباً من النشاط الثقافي لشباب المدينة الذي ينطلق من بواعث اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية، فقد كانت أول رواية شخصت في مدينة القصر الكبير هي (عقبي المبذرين) في مسجد سيدي سعيد الزبيري بمناسبة إحدى الحفلات السنوية التي كان يقيمها الطلبة، كما تم عرض نفس المسرحية على خشبة مسرح "بيريس كالدوس" [16]، وقامت بتشخيصها فرقة (الجوق القصري للتمثيل العربي) التي تعد أول فرقة للمسرح في مدينة القصر الكبير، وهي مقتبسة من ألف ليلة وليلة والمجموعة التي مثلث

هذه المسرحية، هي التي أسست أول فرقة تمثيلية قدمت مسرحياتها بمسرح (بيريس كالدوس) تحت اسم "جمعية الطالب المغربية" وترأس هذه الفرقة الأستاذ المهدي الطود، الذي وضع نشيداً سماه (نشيد النهضة) اختارته الفرقة كنشيد رسمي لها يردد جماعياً إثر تشخيص كل رواية تمثيلية، ثم تكونت فرقة أخرى تابعة لحزب الوحدة المغربية برئاسة المرحوم أحمد الخباز، وبعده ظهرت (فرقة الأطلس) التي قامت بتمثيل رواية (مصرع كليوباترا) على خشبة مسرح بيريس كالدوس في 29 أكتوبر 1947م بعد أن تلقت موافقة إدارة المراقبة الإسبانية في المدينة [17]، إضافة إلى فرقة (الاتحاد) التي عملت بنشاط وعرضت عدة مسرحيات في مدينة القصر الكبير والعرائش وطنجة وتطوان، وكانت هذه المسرحيات تعالج إما مواضيع تاريخية تمثل الجانب المشرق من التاريخ العربي الإسلامي، أو مواضيع دينية تمثل سماحة الشريعة الإسلامية أو مواضيع اجتماعية تظهر مساوئ الجهل وما يجب أن يتخذ لمحاربته ومحوه والتغلب على عواقبه، وكان أغلب أعضاء هذه الفرقة يعملون في حقل التعليم.

وفي نفس السياق ظهرت فرقة (عصبة الأطلس) للتمثيل والموسيقى في مدينة القصر الكبير، ويرجع الفضل في تأسيسها للأستاذ الفنان محمد الجباري، وكانت أولى مسرحياتها (شجرة الدر) التاريخية، ثم مسرحية (الأيدي المحترقة) التي كانت تدعو إلى الفضيلة والتمسك بالمثل العليا، ثم مسرحية (المرأة المجرمة) التي كانت تدعو إلى محاربة السحر وأعمال الشعوذة، ثم مسرحية (البخيل)، و(مأساة عائلة)، و(بطل الوحدة والاستقلال) التي تصور دسائس الاستعمار وتآمره بتعاون مع الخونة لإبعاد ملك البلاد محمد الخامس. وفي سنة 1956م أسس الفنان القصري محمد الجباري (فرقة الكواكب) للتمثيل المسرحي ، حيث جمع فيها ثلة من الشباب القصري المهتم بالمسرح، ويعتبر تأسيس هذه الفرقة محطة متميزة في تاريخ الفن المسرحي في القصر الكبير [18]، كما كان الأستاذ محمد الجباري من أوائل المغاربة الذين مارسوا مسرح العرائس (الكراكيز) في منطقة الشمال إبان الحماية الإسبانية [19].

وفيما بعد واصلت (عصبة الأطلس) عملها في عهد الاستقلال بتقديم عدة مسرحيات، وكان المسرح في هذه الفترة مرتبطاً بالأوضاع السياسية والاجتماعية، وكانت النصوص المسرحية تقدم باللغة العربية الفصحى خدمة لها ولآدابها، كما كانت التدريبات تجري في المدارس الحرة وبعض البيوت [20]. لم تكن العروض المسرحية التي كانت تلقيها هذه الفرق، في مأمن المراقبة الدقيقة للإدارة الاستعمارية الإسبانية في المدينة، حيث كانت كل العروض المسرحية تتطلب موافقة سلطات الحماية على عرضها، خصوصاً تلك التي تعرض بمسرح "بيريس كالدوس" [21]، وذلك وعياً منها بأهمية العمل المسرحي ودوره الكبير في تعبئة المغاربة ضد المستعمر.

كما كانت مدينة القصر الكبير تتوفر على مسرح في الهواء الطلق يطلق عليه اسم (teatro de la naturaleza)، أو (مسرح الطبيعة) الذي قدمت في حفل افتتاحه الفنانة الإسبانية "margarita xirou" عرضاً فنياً متميزاً حضرته النخبة الإسبانية في المدينة [22]، يحتضن عدة أعمال مسرحية لمغاربة وأجانب، هذا النوع من المرافق الثقافية جاء تلبية لرغبة الإسبان المستوطنين لمدينة القصر الكبير، إلا أن هذا لم يمنع من إقبال الساكنة المحلية تدريجياً عليه، خصوصاً وأن مثل هذه الفنون لم تكن لتلقي الترحيب من طرف الفقهاء الذين كانوا يحظون بمكانة هامة في المجتمع وكان لهم تأثير قوي عليه.

لقد كان الفن المسرحي في مدينة القصر الكبير خلال الفترة الاستعمارية، سبباً رئيساً في اندلاع أحد أكبر المظاهرات وأكثرها إشعاعاً في المغرب ككل، ويتعلق الأمر بمظاهرة 27 يونيو 1933، على إثر محاولة يهود القصر الكبير تمثيل مسرحية على خشبة مسرح "بيريس كالدوس" تحت عنوان "أبو بكر عمر عثمان علي، وحوش كيف يأكلون" حيث استنفر هذا العرض الوطنيين في المدينة بزعامة الغالي الطود الذي كان يتزعم تنظيماً سرياً للمقاومة، فقام هؤلاء بتوزيع منشورات تدعو إلى مقاطعة المسرحية ودعوا الناس في المساجد وخرجت مظاهرات حاشدة في المدينة، أسفرت عن تدخلات عنيفة في حق المتظاهرين من طرف سلطات الحماية، وخلفت معتقلين وضحايا، ولم تعرض المسرحية في نهاية المطاف [23].

إن الحراك المسرحي القوي الذي عرفته مدينة القصر الكبير خلال الفترة الاستعمارية، يكشف جانباً مهماً من جوانب التغيير الثقافي الكبير والذي تعد الفنون أبرز تجلياته، حيث أصبحت جمعياتها المسرحية تؤدي أعمالاً متعددة الأبعاد وتساهم في تنمية الحس الوطني لدى القصريين، إضافة إلى استعمال المسرح كوسيلة لمعالجة العديد من القضايا الاجتماعية والثقافية والدينية.

(4) الموسيقى في مدينة القصر الكبير

كانت مدينة القصر الكبير مرتعاً للموسيقى الأندلسية بحكم موروثها الثقافي والسياسي ورباها الجهادي والمعبر الرئيسي للقوافل المغربية والأجنبية، وقد تقوى هذا الموروث بعد الإقامة المؤقتة لمجموعة كبيرة من الأسر التطوانية التي هاجرت إليها أثناء حرب تطوان (1859 – 1862) وفي مقدمتها أسرة الشاعر المفضل أفيلال الذي عاش مع عبد السلام بن ريسون أجواء النغم الصوفي والمديحي والآلة الأندلسية، فكان تحت تأثير هذه الحرب أن ازدهرت الحركة الصوفية بكل تجلياتها، وقد عرف القصر الكبير بنوع آخر من الموسيقى الشعبية، إذ كان مدرسة لفن العيطة والملحون وفن المديح والسماع، ومن القبائل المجاورة لمدينة القصر الكبير والتي اشتهرت بفن العيطة هي قبيلة زهجوكة التي اشتهرت عالمياً بهذا الفن الشعبي، ونسوق في هذا الصدد تعريفاً موجزاً لهذه القبيلة نظراً لتأثيرها على السمعة الفنية لمدينة القصر الكبير [24].

1/4– قبيلة زهجوكة:

تعد هذه القبيلة من بين القبائل التي تغنت بجمال الطبيعة واستعملت آلة "الغيطة" في عزفها سواء في فترات السلم أو الحرب، هذه القبيلة التي تعتبر امتداد لقبيلة "أهل سريف" تفصلها حوالي عشرين كيلمترا عن مدينة القصر الكبير، ويرجع العمل الموسيقي في هذه القبيلة إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري والتاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، حيث كان تعداد سكانها حوالي (850) نسمة كلهم من عبيد البخاري وكان يوجد بها حوالي (159) منزلاً وكان أغلب سكانها يعزفون على "الطبل و"الغيطة" [25]. وقد استوطنت فرق متعددة من جيش عبيد البخاري نواحي مدينة القصر الكبير

منذ عهد السلطان المولى إسماعيل في ظروف مختلفة، ولا يستبعد أن يكون مستوطنوا زهجوكة قد كانوا في الأصل من فرق العازفين في هذا الجيش، وقد صار عازفو زهجوكة خلال القرن التاسع عشر يكونون فرقتين موسيقيتين رسميتين كانت تتناوبان على العزف بدار المخزن بفاس شهراً لكل واحد منهما.

أصبحت قبلة زهجوكة بضواحي مدينة القصر الكبير مدرسة لتعليم الموسيقى الجبلية مما ضمن لها الاستمرار عبر الأجيال، وحافظت على تراثها الفني أباً عن جد وأعطت لمدينة القصر الكبير شهرة واسعة، وقد تجاوزت شهرة هذه الفن حدود المغرب بفضل ما كتب عنها من طرف مؤرخي الغرب وصارت من ضمن التراث الموسيقي الإنساني العالمي الذي حافظ على وجوده لعدة قرون. وذكرها ابن خلدون في المقدمة وقال بأن أحد الأمراء زارها وأعجب بها وبنى بها قصراً للإقامة، وتكلم عن الموسيقى بزهجوكة وأعجب بها الأمير لأنها كانت تخلق الحماس في نفوس الناس وتكرر ذكرها في التاريخ.

وقد حصدت فرقة "الغياطة والطبالة" الزهجوكية عدة شواهد وتقديرات عالمية من شهادة من جامعة "لوهافر" الأمريكية وشهادة من مؤسسة الفن بنيويورك وشاركت في عدة تظاهرات كبرى على المستوى العالمي كالمهرجان الدولي الذي ينظم كل سنة بضواحي نيويورك ويسمى (woud stok) وإلى جانب ذلك شاركت في أربعة أفلام هوليودية، وشاركت مع الأوركسترا الملكية الهرمونية بلندن والتي نالت إعجاباً كبيراً من الشعب الإنجليزي. وفي عهد الحماية الإسبانية انتشرت في مدينة القصر الكبير العديد من الأجواق الأندلسية وتميزت عائلة الطود المشهورة بوطنيتها وعلمها وفنونها الأندلسية وعائلة السفياني بضروب موسيقية مختلفة.

2/4– الأسماء الفنية القصيرة البارزة:

إن اهتمام القصريين بالموسيقى وما يرتب بها من كتابة الكلمات وأداء المقاطع الغنائية والتلحين وغير ذلك، قد جعل المدينة تعرف بروز العديد من الأسماء التي سطع نجمها في هذا المجال الفني، حيث نذكر في هذا السياق اسمين من بين الأسماء الفنية القصرية البارزة.

– **الفنان الحاج محمد الطود** [26]:

يعد الفنان المرحوم الحاج محمد الطود من مواليد مدينة القصر الكبير سنة 1928 وزوج الفنانة المطربة العالية مجاهد، واحداً من أكبر وأمهر المنشدين في المغرب ومن حفاظ ومستظهري إنشادات ومستعملات طبوع الموسيقى الأندلسية المغربية – طرب الآلة – وواحداً من المبدعين الرواة الذي أسسوا وساهموا في تواتر وتطوير هذا الفن، ونقله إلى الأجيال اللاحقة إلى جانب احمد الوكيلي، مارس التدريس في معهد مولاي رشيد للموسيقى الأندلسية في الرباط وتخرج على يده ثلة من حفاظ الموسيقى الاندلسية، وترك تسجيلات أغنى بها خزانة الإذاعة الوطنية وثق خلالها موشحات وصنائع كان قد حفظها عن شيخه أحمد الوكيلي.

– **عبد السلام عامر:**

لقب ببديع زمانه حيث كان يحفظ العديد من الأغاني العربية والمغربية والموسيقي الأندلسية بأطيافها الغرناطي والإشبيلي والقرطبي، ويحفظ الأمداح النبوية بحكم انتمائه لأسرته المحافظة المنتسبة إلى زوايا القصر الكبير فأتقن فن السماع والتجويد والإنشاد وقصائد الملحون، وبحكم موهبته ونبوغه المبكر قرض الشعر وفن المسرح وجرب التلحين وأتقنه فصار من الملحنين الكبار على الصعيد العربي [27]. على مستوى آخر، كانت الموسيقى تعد مكوناً أساسياً من مكونات الأساليب التي يعتمدها الجيش الإسباني، سواء من حيث أداء الأناشيد العسكرية أو إحياء الحفلات الموسيقية المختلفة، وفي هذا الصدد قام الإسبان بإحداث إطار ينتظم فيه الفنانون ويتم من خلاله تنظيم الحفلات الموسيقية ودعم وتشجيع الفن الموسيقي، حيث كانت مدينة العرائش القريبة من القصر الكبير منطلقاً لأول مبادرة جمعوية موسيقية في الشمال المغربي والتي سيكون لها وقع وصدى إيجابيين في المنطقة.

3/4– جمعية أصدقاء الموسيقى:

أول انطلاقة لهذه الجمعية كانت بالعرائش في شهر نونبر (نوفمبر) من سنة 1946، مشكلة من السيد "antonio galera" مراقب التراب الوطني، بمعية الضباط العسكريين الإسبانيين السادة بريطو وفرنانديس موراليس وسان مارتين وغيرهم من الأساتذة المهتمين بالموسيقى ورجال الأعمال، وبين سنة 1946 إلى 1956 قامت هذه الجمعية بعدة أنشطة مكثفة. وقد قامت هذه الجمعية بعدة أنشطة متميزة خصوصاً في الفترة ما بين شهر يناير ويونيو من 1956، وعرفت مساهمة أسماء عديدة من العازفين المرموقين العالميين منهم الفنانين الفرنسيين "أبي دركو"، و"زواني بتيت"، إضافة إلا ليوبولد كيرول، وغرسيا كاريو، وخوسي ماريا غاريد، ومدير المعهد الموسيقي الإسباني، كما قامت هذه الجمعية بالموازاة مع ذلك بتنظيم سلسلة من المحاضرات مصحوبة بالعزف ومقطوعات موسيقية مختلفة من طرف أشهر الموسيقيين العالميين [28].

خاتمة

إن التحولات التي حدثت على المستوى الثقافي في شمال المغرب بصفة عامة ومدينة القصر الكبير بصفة خاصة، تبرز لنا أحد أهم نتائج التفاعل بين الدول المستعمرة والدول المستعمرة، هذا التفاعل الذي نتجت عنه تغييرات عميقة في البنية الثقافية لشمال المغرب، بظهور أجناس أدبية وفنية جديدة بدت غريبة في بداية الأمر على البلد الخاضع للاستعمار، لكن سرعان ما سيتم تجاوز مرحلة الاستيعاب إلى مرحلة التفاعل من خلال ظهور إبداعات من صميم المجتمع المغربي في تلك الفنون التي اعتبرت دخيلة إبان ظهورها، بل والأكثر من ذلك سوف يتم اتخاذها كسلاح لمواجهة الغطرسة الاستعمارية ودعم الروح الوطنية لدى ساكنة الشمال، وهو ما تجلى بوضوح في الفن المسرحي، على سبيل المثال، الذي سيصبح من أدوات المقاومة وآلية أساسية من آليات التعبئة لدى الحركة الوطنية في الشمال، وهو ما يؤشر على دور الفعل الثقافي والتطورات التي شهدها في دعم المطالب التحررية في شمال المغرب.

الملاحق:



صورة رقم (1)

مسرح بيريس كالدوس أو ألفونسو الثالث عشر



Anuncio aparecido en la página dos de un "Anunciador Comercial" del año 1936/7, del Teatro Pérez Galdós. **"Todas las noches 2 grandes sesiones de CINE SONORO. Excelente aparato. Proyección de las más renombradas películas. Alcazarquivir".**

صورة رقم (2)

بطاقة حضور لأحد أنشطة مسرح" بيريس كالدرس"



MARGARITA XIRGU, QUE HA INAUGURADO EN ALCAZARQUIVIR EL "TEATRO DE LA NATURALEZA" CON LA CONOCIDISIMA CRONICA DRAMATICA DE BERNARD SHAW "SANTA JUANA". (FOTO GABILAN)

صورة رقم (3)

عرض مسرحي على خشبة مسرح الطبيعة بمدينة القصر الكبير

الهوامش:

(1) عبد الرحيم برادة، إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية (1931 – 1956)، الجزء الثاني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 209.
(2) المرجع نفسه، ص 210.
(3) محمد بن عزوز الحكيم، مجلة الوثائق الوطنية، العدد (3) و(4)، تطوان، شتنبر ودجنبر 1988، ص 149.
(4) بوسلهام المحمدي، أدباء ومفكروا القصر الكبير المعاصرون، بحث وتراجم، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، الطبعة الأولى، مطبعة ألطوبريس، طنجة، 2008، ص 46.
(5) المرجع نفسه، ص 64.
(6) قصيدة بخط يد الشاعر أحمد الغرابلي، أصل الوثيقة في ملك الأستاذ محمد أخريف.
(7) محمد أخريف، وثائق لم تنشر، ج3، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، الطبعة الأولى، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008، ص 89.
(8) محمد العربي العسري، أقلام وأعلام من القصر الكبير في العصر الحديث، الجزء الثاني، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بمدينة القصر الكبير، الطبعة الأولى، مطبعة الأمنية، الرباط، 2012، ص 385.
(9) المرجع نفسه، 34.
(10) انظر: أقلام وأعلام من القصر الكبير في العصر الحديث، الجزء الثاني، مرجع سابق.
(11) توماز راميريز أورتيز، القصر الكبير تاريخ مغربي صغير، ترجمة عبد الرحمان الشاوش، إعداد ومراجعة: محمد اخريف ومحمد العربي العسري، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعية بالقصر الكبير، الطبعة الأولى، مطبعة الأمنية، الرباط، ص 131.
(12) المرجع نفسه، ص 131.
(13) doc : anuncio aparacido en la pagina dos de un "anonciador comercial" del ano 1939/7, del tetro perez galdos, todas de las nochas grandes de CINE CONORO, excelanta aparato, proyaccion de las mas renomrados piluculas, alcazarquivir.
(14) Propia y Antonio CUEVAS, LA CENSURA CINEMATOGRÁFICA EN LAS COLONIAS ESPAÑOLAS, Anuario del Espectáculo (1944-1945). Madrid: E. Giménez S.A., 1945.
(15) إقرار من إدارة مسرح (perez galdos) بتوصلها من بلدية القصر الكبير بمبلغ (33) بسية مؤرخة في 12 مارس 1946م، وثائق الأستاذ محمد أخريف.
(16) منشور الإعلان عن عرض المسرحية، أقلام وأعلام من القصر الكبير في العصر الحديث، محمد العربي العسري، الجزء الأول، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بمينة القصر الكبير، الطبعة الأول، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008، ص 35.
(17) رسالة موافقة من المراقب الإسباني المحلي على عرض مسرحية (مصرع كليوباترا) في مسرح بيريس كالدوس من طرف فرقة (الأطلس) المسرحية، وهي موجهة إلى رئيس الفرقة، وثائق الأستاذ محمد أخريف.
(18) محمد العربي العسري، أقلام وأعلام، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 423.
(19) المرجع نفسه، ص 427.
(20) المصفى الطريبق، دور الجمعيات والتنظيمات في خدمة الثقافة بمدينة القصر الكبير، ملحق ثقافي تاريخي حول مدينة القصر الكبير بمناسبة عيد العرش مارس 1989 ص 65.
(21) رسالة موافقة سلطات الحماية بالقصر الكبير على تمثيل رواية "مصرع كليوباترا" من طرف "فرقة الأطلس بمسرح "بيريس كالدوس" مؤرخة بتاريخ 29 أكتوبر 1947 (وثائق الأستاذ محمد أخريف).
(22) foto: margarita xirou, que ha inagurado en al cazaquivir el “ teatro de la naturaleza “ con la considisima crónica de bernard Shaw ‘‘santa juana “ (foto gabilan)
(23) وثائق لم تنشر، محمد أخريف، الجزء 3، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008، ص 110.
(24) المرجع نفسه، ص 163.
(25) المرجع نفسه، ص 164.
(26) المرجع نفسه، ص 165.
(27) المرجع نفسه، ص 166.
(28) محمد الحبيب الخراز، الأجواء الموسيقية بتطوان، مطبعة الخليج العربي، الطبعة الأولى، 2009، تطوان، ص 282.